الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـــامعة غـــارداية ـــة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

إعجاز القرآن في آيات النبات والحيوان

سورة النحل أنموذجاً

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة ليسانس في اللغة العربية وآدابها.

التخصص: اللغة والدراسات القرآنية.

من إعداد الطالبتين:

- ✓ بوستّة مسعودة.
- ✓ بنّي وردة.

إشراف الأستاذ:

سـويلم مختار.

السنة الدراسية:

1434هـ/ 2013م

بسم الله الرحمن الرحيم
الإصدار الأول ١٤٢٩

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا قيما، والصلاة والسلام دائمين على خير البشرية محمد وآله وصحبه الطاهرين الشرفاء.

الإعجاز في القرآن الكريم طرق كل فن من فنون العلم المعروفة الأدبية والعلمية، فهو في بداياته تحدى العرب أن يأتوا بمثله في بيانه، وأما حاضرنا فقد كشف عن حقائق لم يكتشفها العلم الحديث إلا بعد أربعة عشر قرنا من نزوله وذلك على مستوى الخلق أجمع، إنسانه وحيوانه ونباته.

لذا حاولنا في بحثنا هذا أن نلتمس قبسا من بعض أنواره الإعجازية البيانية والعلمية في كل من عالم الحيوان والنبات التي حملتها سورة النحل في طياتها، فهو موضوع قديم مستحدث، مثبت بأنّ القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد فهو بحر زاخر بالمعاني مليء بالأسرار، لذا أردنا أن نعايش درره الغالية، لأسباب ودوافع منها:

- أنّه يدرس المعجزة الخالدة الباقية ما بقيت السماوات و الأرض.
- يسعى لإيقاظ روح التفكير والتفكر في عظيم مخلوقات الله تعالى من حيوان ونبات المسخرين للإنسان.

وكان لنا أن اطلعنا على كتب قيمة في الموضوع، من أهمّها:

- القرآن الكريم برواية حفص (موقع: روح الإسلام).
- التفاسير ومن بينها: «في ظلال القرآن»، «تفسير الكشاف»، «التحرير والتنوير».
- «قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وضوابط التعامل معها».

معتمدين في ذلك المنهج التاريخي يتخلله المنهج التحليلي باعتبار أن الإعجاز البياني أسبق من الإعجاز العلمي ظهورا.

أمّا الخطة المتبعة في هذا البحث فقد سرنا فيها بتقسيمه إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

فالمقدمة التي نحن الآن بصددها، أمّا التمهيد فقد تناولنا فيه أهم المصطلحات المكونة لعنوان البحث من تعريف للقرآن والإعجاز، وتقديم وجيز لسورة النحل.

لننتقل بعده إلى المبحث الأول الذي جعلناه جانبا نظريا للإعجاز البياني مقسما إلى ثلاثة مطالب: الأول خصصناه لماهية الإعجاز البياني، والمطلب الثاني أركان الإعجاز البياني، والأخير تحت عنوان مظاهر الإعجاز البياني.

فالمبحث الثاني تحدثنا فيه عن الإعجاز العلمي نظريا وقد ضمّناه ثلاثة مطالب كذلك وهي: المطلب الأول لماهية الإعجاز العلمي والمطلب الثاني للفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي، أمّا المطلب الأخير فلضوابط التعامل مع قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

ثمّ المبحث الأخير الذي يعتبر الجانب التطبيقي للبحث تحت عنوان الإعجاز البياني والإعجاز العلمي لآيات الحيوان والنبات في سورة النحل، غير أن هناك إشارة إلى أن عنوان البحث هو: إعجاز آيات النبات والحيوان –سورة النحل أنموذجا – ذلك تماشيا مع سياق السورة التي بدأت بذكر الحيوان ثم النبات.

لنختم بحثنا هذا بخلاصة متضمنة أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

ولقد واجهتنا في ذلك صعوبات منها:

- تعدد مشارب البحث: فهو من جهة بحث في البيان ومن جهة أخرى بحث في العلوم.
- جدة الموضوع ونقص المؤلفات في الجانب العلمي خاصة، مما أحالنا إلى الشبكة العنكبوتية لمواقع منها: موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.eajaz.com، وموسوعة النابلسي www.nabulsi.com، ومواقع أخرى.
- ضيق الوقت.

ونحمد الله الذي هدانا لهذا ونسأله أن يتقبل منا الجهد المبذول، كما نشكر الوالدين الكريمين، وكل من أعاننا من أعضاء قسم اللغة والأدب العربي، وللمشرف خاصة على ما بذله معنا من جهد وصبر، كما لا ننسى أن نتقدم بالشكر الجزيل للسادة المشايخ، ولكل من شاركنا وساعدنا في مشوارنا الدراسي، آملين من المولى عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم والله ولي التوفيق.

القرآن الكريم: « هو الكلام المعجز، المنزّل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته ».[1]

قال الله تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾.[2] وقد جرت سنّة الله كما اقتضت حكمته أن يجعل معجزة كل نبي مشكلة يتقنها قومه ويتفوّقون فيها، ولما كانت العرب قوم بيان ولسن يقولون بِمِقْولهم كانت معجزة النبي صلى الله عليه وسلم الكبرى هي القرآن الكريم، فالإعجاز القرآني قد نشأ منذ نزول الكتاب الشريف على قلب الرسول العظيم عليه السلام، فقد ظهر العرب الخلّص عن الإتيان بمثله أو ما يقاربه، مع معاينتهم عِظم تأثيره فيهم، وهداية عظمائهم وضعافهم،ومع قرع أسماعهم من تحدي الله – سبحانه وتعالى– لهم أن يأتوا بمثل هذا الكتاب أو بعشر سور مثله، قال الله تعالى﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾.[3]

أو سورة واحدة مثله، قال الله تعالى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾.[4]

ولكن أنّى للمخلوق العاجز الضعيف أن يأتي بمثل كلام الله الخالق العظيم.

وعليه، فقد أعلن إعجاز القرآن على العالم من أعظم مصدر ثابت وهو القرآن نفسه، حيث نادى على رؤوس الأشهاد وفي كل جيل وقبيل يتحدى الناس بل العالم أن يأتوا بحديث مثله.[5]

---

[1] ينظر: محمد موسى الشريف، إعجاز القرآن بين السيوطي والعلماء، دراسة نقدية ومقارنة، دار الأندلس الخضراء ،جدة، السعودية، 1422هـ،2002م، ط2، ص 52.

[2] سورة الإسراء، الآية: 88.

[3] سورة هود، الآية: 13.

[4] سورة يونس، الآية: 38.

[5] ينظر: نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، مطبعة المصباح، دمشق، سوريا، 1414هـ،1993م، ط1، ص 193.

قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ، فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.[1]

فالإعجاز القرآني مركب إضافي، معناه بحسب أصل اللغة: «إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به فهو إضافة المصدر لفاعله والمفعول ما تعلق بالفعل المحذوف للعلم، والتقدير: إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحدّاهم به».[2] إلاّ أنه تعريف عام لإعجاز القرآن لا يتعلق بإثبات وجه من وجوه الإعجاز ولا ينفيه،"والعَجْزُ" عند الراغب الأصفهاني: هو التأخر عن الشيء فهو ضدّ القدرة والاستطاعة، ويطلق على القصور عن فعل الشيء.[3]

ولهذا للإعجاز وجوه تباينت أقوال العلماء في تحديدها، وهذا ناشئ من غزارة فنون هذه المعجزة وعظمتها مما يجعل أي فكر أو أي عصر من العصور عاجزا عن استنفاذ أوجه إعجاز القرآن والإحاطة بها خُبرا، وسوف نكتفي بنموذج من بيان الأسلاف لأوجه إعجاز القرآن وهو الإمام المفسر الكبير أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(تـ 671 هـ) فقد حصرها في عشرة، ومن بينها قال رحمه الله:

ومنها النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها، فقد أقر عتبة بن ربيعة أنه ليس بسحر ولا شعر لما قرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : «حم» – فصلت– واعترافه بأنه ما سمع مثل القرآن قط، كان في ذلك إقرار بإعجاز القرآن له ولضربائه.

ومنها: الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب.

ومنها: الجزالة التي لا تصح من مخلوق، وتأمل قوله تعالى في سورة ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾[4] إلى آخرها، قال ابن الحصار: فمن علم أن الله سبحانه وتعالى هو الحق، علم أنّ مثل هذه الجزالة لا

---

[1] سورة الطور، الآية: 33-34.

[2] ينظر: محمد موسى الشريف، المرجع السابق، ص53.

[3] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح:نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان1427هـ، 2006م ط1، ص547.

[4] سورة ق، الآية:1.

تصح في خطاب غيره، ولا تصح من أعظم ملوك الدنيا، فهذه الثلاثة من النظم، والأسلوب، والجزالة لازمة كل سورة.[1]

إذ الإعجاز يتنوع تنوعا شاملا للأسلوب والمضمون أيضا، لذا نجد وجوها كثيرة فمنها: ما ينْصبّ على الهدايات فيه، ومراميه في إسعاد البشرية، ومنها ما يتعلق بإخبار الغيوب، وأخرى ما اشتمل عليه من إشارات إلى سنن الكون والطبيعة التي خلقها الله سبحانه وتعالى.

لذا يمكن أن نجمعها من باب الاختصار في أربعة وجوه:

أولا: الإعجاز البياني.

ثانيا: الإعجاز الغيبي.

ثالثا: الإعجاز التشريعي.

رابعا: الإعجاز العلمي (التجريبي).[2]

لنتطرق ضمن بحثنا هذا إلى دراسة الإعجاز البياني والعلمي في آيات الحيوان والنبات التي ذكرت في سورة النحل، هي سورة مكية وَأخرج ابْن إِسْحَاق وَابْن جرير عَن عَطاء بن يسَار قَالَ:« نزلت سُورَة النَّحْل كلهَا بِمَكَّة إِلَّا ثَلَاث آيَات من آخرهَا نزلت بِالْمَدِينَةِ يَوْم أحد حَيْثُ قتل حَمْزَة وَمثل بِهِ، فَقَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: لَئِن ظهرنا عَلَيْهِم لنُمثلنّ بِثَلَاثِينَ رجلا مِنْهُم، فَلَمَّا سمع الْمُسلمُونَ ذَلِك، قَالُوا: وَالله لَئِن ظهرنا عَلَيْهِم لنُمثلنّ بهم مثلَة لم يمثّلها أحد من الْعَرَب بِأحد قطّ».[3] نزلت بعد سورة الأنبياء وقبل (ألم) سورة السجدة، وقد عدت الثانية والسبعين في ترتيب نزول السور، وعدد آياتها ثمان وعشرون ومئة، سُميّت كذلك وهو المشهور في

---

[1] ينظر: أبو عبد الله محمد ابن أحمد ابن أبي بكر ابن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البدروني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر،1384 هـ،1964م، ط2،ج1، ص73. وينظر:د.نور الدين عتر، ص208.

[2] ينظر: مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار المسلم، الرياض، السعودية، 1416هـ-1996م، ط2، ص121.

[3] ينظر: للحافظ عبد الرحمن ابن بكر جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور،دار الفكر ،بيروت، لبنان، 1414هـ،1992م، (د.ط). ج5، ص179.

كتب التفسير والسنة.[1] ووجه تسميتها بسورة النّحل هو أنّه لم يذكر في سورة أخرى، فهي تحمل تلك العبرة البليغة التي تشير إلى عظمة الخالق، وتدلّ على الألوهية بهذا الصنع العجيب.[2] قال المهايمي: « سميت بهذا لاشتمالها على قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [3] المشير إلى أنه لا يستبعد أن يلهم الله عز وجل بعض خواص عباده أن يستخرجوا الفوائد الحلوة الشافية من هذا الكتاب، يحمل كلماته على مواضيع الشرف وعلى المعاني المثمرة وعلى التصرفات العالية».[4]

فالنّحل خلق من مخلوقات الله تشبه الذباب، ولكنها تعمل بإلهام الفطرة التي أودعها إيّاها الخالق العظيم فلّما أطاعت الله ونفّذت أوامره أخرج من بطونها عسلا شافيا ومفيدا للأرض كلّها... ونلاحظ دقة التّعبير القرآني في كلمة «يخرج» و لم تقل الآية: «فاخرجي عسلا» لأنها لمّا اتّبعت الوحي وطبقت منهج ربّنا خرج عسل مفيد، وكذلك الوحي نزل إلى الأمّة فإن التزمت بأوامر الله فسيخرج عسل الهداية والتوبة للمجتمع.[5]

وهناك من سمّاها سورة النعَم بكسر النون وفتح العين عن قتادة كما أخرج عنه أبو حاتم،[6] وذكر ابن عطية في وجه التسمية: «أنّه بسبب ما عدّد الله فيها من نعمه على عباده».[7] فهي تخاطب قارئها قائلة: انظر لنعم الله تعالى في الكون من النعم الأساسية (ضروريات الحياة) إلى النَعم الخفية التي يغفل عنها المرء وينساها وحتّى أنّه يجهلها... فبعد كلّ مجموعة منها تأتي آية

---

[1] ينظر: الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسيرالتحرير والتنوير، الدار التونسية بتونس 1984م، (د.ط)، ج14، ص93.

[2] ينظر: محمد علي الصابوني، إيجاز البيان في سور القرآن، دار الجيل ،بيروت، لبنان، (د.ت)، ط1، ص51.

[3] سورة النحل، الآية: 68.

[4] الإمام علي ابن أحمد بن إبراهيم المهايمي، تفسير المهايمي المسمى تبصير الرحمن و تيسير المنان، عالم الكتب، بيروت، لبنان 1403هـ، 1983م، ط2، ج1، ص 405.

[5] ينظر: عمرو خالد، خواطر قرآنية نظرات في أهداف سور القرآن، الدار العربية للعلوم بيروت لبنان، (د.ت)، ط1، ص 205.

[6] الحافظ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح:مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير والعلوم الإسلامية، دمشق سوريا، 1414هـ،1993م ط2، ج2، ص 173.

[7] ينظر: أبي محمد عبد الحق ابن غالب ابن عطي الأندلسي، المحرر الوجيز في الكتاب العزيز تح: عبد السلام الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان1413هـ،1993م، ط1، ج3، ص 377.

فاصلة تذكر بأن المنعم هو الله تعالى: ﴿ **وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** ﴾[1] أو ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾.[2] وهناك آيات عديدة في السورة تفصل بين مقاطع النّعَم المختلفة لتحذر من سوء استخدامها كأن تستعمل في معصية الله تعالى.[3]

وقال السيوطي في كتاب أسرار ترتيب القرآن: «أقول وَجْه وضعها بعد سورة الحجر أنّ آخرها شديد الالتئام بأول هذه، فإن قوله في آخر تلك: ﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴾،[4] الذي هو مفسر بالموت، ظاهرة المناسبة لقوله هنا: ﴿ **أَتَى أَمْرُ اللَّهِ** ﴾.[5] وانظر كيف جاء في المقدمة المقدمة يأتيك اليقين وفي المتأخرة بلفظ الماضي، لأن المستقبل سابق على الماضي كما تقرر العربية، وظهر لي أن هذه السورة شديدة التعلق بسورة إبراهيم، وإنّما تأخّرت عنها لمناسبة الحجر في كونها من ذواتها (ألر) ».[6]

ومعظم ما اشتملت عليه السورة إكثار مُتنوع الأدلة على تُفرد الله تعالى بالألوهية، والأدلة على فساد دين الشرك وإظهار شناعته، وأدلة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن عليه، وأنَ شريعة الإسلام قائمة على أصول ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وإثبات البعث والجزاء، فابتدأت بالإنذار بأنه اقترب حلول ما أُنذر به المشركون من عذاب الله الذي يستهزؤون به، وختمت بتثبيت الرسول – عليه الصّلاة والسلام– ووعده بالتأييد.[7]

---

[1] سورة النحل، الآية: 53.

[2] سورة النحل، الآية: 18.

[3] ينظر: عمرو خالد، المرجع السابق، ص 205.

[4] سورة الحجر، الآية: 99.

[5] سورة النحل، الآية:1.

[6] ينظر: الحافظ جلال الدين السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، مصر 1398هـ،1978م، ط2، ص111، ص 112.

[7] ينظر: الإمام الطاهر ابن عاشور، المرجع السابق، ج14، ص 96، ص 94.

وفي فضل سورة النّحل عن أبيّ بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مـــن قـــرأ سورة النّحل لم يحاسبه الله بالنّعم التي أنعم الله عليه في دار الدنيا، وأُعطي من الأجر كالذّي مات فأحسن الوصيّة».[1]

[1] ينظر: منيرة محمد ناصر الدوسري، نقد فهد ابن عبد الرحمن ابن سليمان الرومي، أسماء سور القرآن وفضـــائلها، دار ابـــن الجوزي الدمام، المملكة العربية السعودية 1426هـــ، ط1، ص 243.

المطلب الأول: ماهية الإعجاز البياني:

كما تطرقنا إلى تعريف العلماء للإعجاز في القرآن الكريم، على أنّه أنزل لإثبات ما تحداهم به، أي عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن وقصورهم على الإتيان بمثله، رغم توفر ملكاتهم البيانية. لننتقل إلى البيان:

لغة: ورد في لسان العرب "البيان" الفصاحة واللّسن وكلام بيّن:فصيح والبيان الإفصاح مع الذكاء، والبيِّنُ من الرجال: السمح اللسان، الفصيح، الظريف.[1]

وقال الجوهري في "الصحاح": فلان أبْين من فلان: أي أفصح منه وأوضح كلاما. والبيان: ما تبين به الشيء من الدلالة وغيرها، وبيان الشيء بيانا: اتضح، فهو بيِّن وأبْيَنته أنا أي أوضحته.[2]

اصطلاحاً: ظلت هذه الكلمة تحمل هذه المعاني أمدا طويلا دون أن تستأثر باهتمام خاص من جانب اللغويين وأهل الأدب، لنجد الجاحظ (تـ 255هـ) في كتابه "البيان والتبيين" ينقل لنا أقدم تعريف معرف عن البيان وهو جعفر بن يحي إذ يقول: « قال تمامة: قلت لجعفر بن يحي: ما البيان؟ قال أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويُجلي عن مغزاك، ولا تستعين عليه بالفكرة، والذي لابد منه أن يكون سليما من التكلف، بعيدا من الصنعة».

أما الجاحظ ذاته فقد أشار إلى المعنى العام السابق للبيان بقوله: «والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عزوجل يمدحه ويدعو إليه ويحث عليه، بذلك نَطق القرآن وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف العجم».

ثم يقول: «والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ذلك البيان، من أي جنس كان

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر،راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1426هـ، 2005م، ط1،ج7، ص664.

[2] الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،1404هـ، 1984م، ط3،ج5، ص3082، ص3083.

الدليل، لأنّ مدار الأمر والغاية التي تجري القائل والسامع، إنّما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع».[1]

ماهية الإعجاز البياني:

لقد كانت المعجزات قبل القرآن الكريم معجزات مادية فما بعث الله رسولا إلّا وقد أيده بالآيات الكونية والمعجزات المخالفة للسنن المعروفة عند الناس والخارجة عن مقدور البشر ليكون من عند الله تعالى، فتنزل القرآن الكريم على قلب النّبي الأمين صلى الله عليه وسلم ليكون برهانا على صدقه ونبوّته.

ليتنزل القرآن العظيم يخاطب قلوب العرب وعقولهم ويطرق أسماعهم بأعذب الكلمات التي تتأثر بها الأسماع وتنتقل منها القلوب في معاني الحكمة وحقائق بينة وشرائح منظمة، مما جعل العلماء والباحثين ينشغلون بالدراسات حول الإعجاز في القرآن الكريم ومن هنا ولدت فكرة الإعجاز البياني للقرآن الكريم. فماذا نقصد بالإعجاز البياني؟.

يقوم الإعجاز البياني على النّظم؛ ذلك الترتيب لكلمات القرآن في جملها من جهة واختيار الكلمات من جهة أخرى، ثم ترتيب الجمل والآيات في السور، وقد أشار بعض العلماء والباحثين إلى قضية الإعجاز البياني من أشهرهم الجرجاني (ت471 هـ) إذ يقول: «إن اللفظ وحده لا يتصور عاقل أن يدور حوله بحث من حيث هو لفظ، إنّما من حيث دلالته يدور البحث فيه، وإن المعنى مقيّد تحديدا بالنظم الذي يؤدي إليه، فلا يمكن أن يختلف النّظمان ثم يتحد المعنى تمام الإتحاد».[2]

ومن العلماء كذلك ابن كثير (ت 744هـ) له تفسير القرآن العظيم، وفيه أشار بشكل موجز إلى الإعجاز البياني إذ يقول:« ومن تدبّر القرآن الكريم وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونا

[1] أحمد مطلوب، فنون بلاغية –البيان، البديع–، دار البحوث العلمية، مدينة الكويت، الكويت، 1895هـ،،1975م، ط1، ص13.

[2] ينظر:سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1413هـ،1993م، ط13، ص 194.

ظاهرة وخفية من حيث اللفظ ومن جهة المعنى، قال تعالى:﴿ **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾.[1]

فأُحكمت ألفاظ القرآن وفصّلت معانيه فكل من لفظه ومعناه فصيح لا يُحادى ولا يدانى ولا يقارن بالشّعر، فيقال: «أنَ الشّعر أعذبه أكذبه بينما القرآن فكله حق وصدق وعدل وهدى، والشّعر نجد فيه بيتا أو بيتين أو أكثر هي بيت القصيد ، وسائرها هدر لا طائل تحته وإنّما القرآن فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة».[2]

أمّا من علماء العصر الحديث محمد سعيد رمضان البوطي (ت 1434هـ) رحمه الله له كتاب روائع البيان قد بيّن في مقدمته أنّ الإعجاز البياني يشمل كلا من المعنى والمبنى إذ يقول: «إنّ المهم في دراسة الإعجاز البياني القرآني أنْ يصل منها القارئ إلى ما يدرك معه أنّ صياغة هذا الكتاب ليست ممّا من شأنه أنْ يخضع للطاقة الإنسانية وأنّ معانيه ليست ممّا قد يأتي بمثله الفكر الإنساني».[3]

المطلب الثاني: أركان الإعجاز البياني للقرآن الكريم:

– من أركان الإعجاز البياني للقرآن الكريم:

1- **التّحدي**: وهو طلب المبارزة والمنازلة والمعارضة.

بعث الله سبحانه وتعالى محمّدا صلى الله عليه وسلم رسولا إلى العرب وأعطاه آية وبرهانا على صدق القرآن الكريم، فقال لهم: إنّ هذا القرآن من عند الله فلّما كذّبه العرب، تحدّاهم على عدة مراحل:

---

[1] سورة هود، الآية:1.

[2] الإمام إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس، مصر، 1401هـ،1981م، ط3،ج1، ص64، ص65.

[3] نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1400هـ، 1980م، ط2، ص203.

تحدّاهم على أن يأتوا بقرآن مثله، قال تعالى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ**﴾،[1] ولكن من أين لهم أن يأتوا بمثله وهو كلام الله المترّه عن كل ما يشوبُ كلام البشر من نقص، فلم يستجب العرب لهذا التّحدي.

وبعدها تحدّاهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات فقال تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾.[2]

فخفف التحدي إلى سورة مثله، قال تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾.[3]

2- **وجود المقتضي عند المتحدّى لمواجهة التّحدّي:** يقول الرافعي في وقفة له عند قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾.[4] تأمل الآية تجد عجبا، فقد بالغ في اهتياجهم واستفزازهم ليثبت أن القدرة فيهم على المعارضة كقدرة الميّت على أعمال الحياة لن تكون ولن تقع، فقد قال لهم: «ولن تفعلوا» هذا منكم فوق القدرة وفوق الحيلة وفوق الاستعانة وفوق الزمن، ثمّ جعلهم وقودا ثمّ قرنهم إلى الحجارة ثم سماهم كافرين فلو أنّ فيهم قوة بعد ذلك لانفرجت ولكن الرماد غير النار.[5]

3- **انتفاء المانع عند المتحدّي من قبول التّحدي:** وذلك من ثلاثة وجوه:[6]

– من الناحية اللفظية: فإن العرب كانوا أهل فصاحة وبيان يشهد لهم ذلك أشعارهم وخطبهم وأمثالهم ومقدرتهم على النقد، وتمييز الغثّ من السّمين، وكانوا قد برعوا في اللغة ووصلوا إلى

---

[1] سورة الطور، الآية: 33-34.

[2] سورة هود، الآية: 13.

[3] سورة يونس، الآية: 38.

[4] سورة البقرة، الآية:23.

[5] ينظر: مصفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، تح: درويش الجودي 1427هـ، 2006م، (د.ط)، ص 192.

[6] ينظر: عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، الزهراء للنشر والتوزيع، الجزائر، 1990م، ط1، ص25، ص 26.

مستوى رفيع، ليصِفهم الرافعي بقوله: «العرب أصحاب الفطرة اللغوية والحسن البياني الـــذين صرّفوا اللغة وشقّقوا أبنيتها وهذّبوا حواشيها وجمعوا أطرافها واستنبطوا محاسنها».[1]

- من الناحية المعنوية: فإنّ العرب كانوا أعلى مستوى من رجاحة العقل والفطنة والذكاء بحيـــث يستطيعون الإتيان بمثل هذا القرآن لو كان من كلام البشر.
- من الناحية الزمنية: فإنّ القرآن الكريم لو نزل دفعة واحدة لاعتذروا وإنّما نزل منجّما في ثلاثة وعشرين سنة وبقي التّحدي قائما، ثمّ لو نزل دفعة واحدة لاعتذروا بأنّ الوقت قصير ولطلبـــوا من النبي صلى الله عليه وسلم أنْ يمهلهم، ولكنّ الوقت طويل و لم يكن لديهم مانع إلَا شعورهم بالعجز.

المطلب الأخير: مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم:

- من مظاهر الإعجاز البياني للقرآن الكريم:

1- الخصائص العامة للأسلوب القرآني: يمتاز القرآن الكريم باتساق عباراته وبلاغتها وبديع نظمه، بحيث إذا قرأته شعرت بتأثير شديد في النفس.[2]

2- في ضرب الأمثال: حيث يُخرج المعاني الذهنية في صورة حسيّة (تشخيص، تجسيم) ترسم في مخيلة القارئ حيّة متحركة مثل قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَـــلُ فِـــي سَـــمِّ الْخِيَاطِ**﴾.[3]

3- في الإيجاز: إمّا إيجاز حذف أو إيجاز قصر، فإيجاز الحذف هو: إسقاط كلمة للاجتزاء عنـــها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام،[4] مثل قوله تعالى:﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ**﴾،[5] وأمّـــا إيجـــاز

---

[1] ينظر: مصطفى صادق الرافعي،المرجع السابق، ص 288.

[2] ينظر: أبي بكر محمد ابن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، (د.ت)، (د.ط)، ص 35.

[3] سورة الأعراف، الآية: 40.

[4] الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ط3، ص76.

[5] سورة يوسف، الآية: 82.

القصر فهو: بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف،[1] مثل قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾.[2]

4- من ناحية التكرار: يقول الزركشي: «وقد غلّط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة، ظنّا أنّه لا فائدة له وليس كذلك، بل هو من محاسنها لاسيما إذا تعلق بعضه ببعض، وأنّ ذلك عادة العرب في خطاباتها إذا أهمت بشيء إرادةً لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه كرّرته توكيدا».[3]

5- الكلمة القرآنية: مثل قوله تعالى:﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾،[5] يقول سيد قطب: «وعند التأمّل السريع في هذين السياقين يتبيّن وجه التناسق في(هامدة) و(خاشعة)، إنّ الجّو في السياق الأول جوّ بعث وإحياء وإخراج فما يتسق معه تصوير الأرض بأنها «هامدة» ثم تهتز وتربو، وتنبت من كل زوج بهيج، وإن الجو في السياق الثاني هو جوّ عبادة وخشوع وسجود يتسق معه تصوير الأرض بأنها «خاشعة» فإذا أنزل عليها الماء «اهتزت وربت».[6]

---

[1] الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، المرجع السابق، ص 76.

[2] سورة البقرة، الآية: 179.

[3] الإمام بدر الدين محمد ابن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1957م، ط1، ج3 ، ص9.

[4] سورة الحج، الآية: 5.

[5] سورة فصلت، الآية: 39.

[6] ينظر:سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص197.

المطلب الأول: ماهية الإعجاز العلمي:

إن القرآن معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه، حيث ينفي الإمكان بالعجز عن غير الممكن، فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغا وليس إلى ذلك مأتى ولا جهة، وإنما هو أثر كغيره من الآثار الإلهية ينفرد عنها بأن له مادة من الألفاظ مفرغة إفراغا من ذوب تلك المواد كلها... فهو كلام الله عز وجل، والكون خلق الله تعالى ولا يشك مؤمن في التطابق التام بينه وبين حقائق هذا الكون ونظامه.[1]

فالإعجاز العلمي في كتاب الله عز وجل معناه: «سبق هذا الكتاب العزيز بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وظواهره التي لم تتمكن العلوم المكتسبة من الوصول إلى فهم شيء منها إلا بعد قرون عديدة من تنزّل القرآن الكريم».[2]

ولا يمكن لعاقل أن يتصور لهذه الحقائق القرآنية العلمية مصدرا غير الله الخالق سبحانه، حيث لم يكن ممكنا لأي من البشر إدراكها في زمن الوحي ولا القرون العديدة من بعده، قال الله تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾.[3]

وعليه فالإعجاز العلمي أسلوب فريد في الدعوة إلى دين الله بلغة مناسبة لعصر تفجر المعرفة العلمية الذي نعيشه، قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾[4]

---

[1] ينظر: مصطفى صادق الرافعي، المرجع السابق، ص 109.

[2] زغلول النجار، قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وضوابط التعامل معها، نهضة مصر للنشر والتوزيع، مصر، يناير 2008م، ط3، ص43.

[3] سورة النمل، الآية: 93.

[4] سورة سبأ، الآية: 5-6.

المطلب الثاني: الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي:

يعتبر التفسير العلمي لونا من ألوان التفسير الذي ظهر في مطلع القرن الرابع عشر ونما وتوسعت أرجاؤه وتعددت، فقد كان نتيجة انبهار نفر من المسلمين بالحضارة الأوروبية التي فتحت أعينهم على مخترعاتها وثمرات علومها، فذهب هذا النفر يلتمس إشارات ذلك في القرآن الكريم، «فهو محاولة بشرية لحسن فهم دلالة الآية القرآنية في كشف الصلة بينها وبين مكتشفات العلم التجريبي والربط بينهما بوجه من الوجوه».[1]

وهذا تعريف بما هو عليه، أما تعريفه بما ينبغي أن يكون عليه: «فهو كشف الصلة بين النصوص القرآنية وحقائق العلم التجريبي». والفرق بينهما أن الأول خلط بين النظريات والحقائق، وما ينبغي أن يكون هو الاقتصار على الثانية دون الأولى في تفسير القرآن الكريم، فهو يعتمد كذلك على التوسع في مدلول الكلمات، والآيات القرآنية، والاستيحاء من الكلمة منقطعة عن سياقها في الآية أحيانا، والاعتماد على الإشارات من هنا وهناك.[2]

أما الإعجاز العلمي: «فإثبات سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى حقيقة من حقائق الكون أو تفسير ظاهرة من ظواهره قبل وصول العلم المكتسب إليها بعدد متطاول من القرون، وفي زمن لم يكن لأي من البشر إمكانية الوصول إلى تلك الحقيقة عن طريق العلوم المكتسبة أبدا».[3]

وللتفريق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي، فالأول مثار البحث والمناقشة، والثاني فقضية مسلمة لا نزاع فيها، فهو محقق مدرك ثابت لا خلاف فيه.

---

[1] ينظر: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن، فهرسة مكتبة ملك فهد الوطنية الرياض السعودية، 1426هـ، 2005م، ط14، ص 316.

[2] ينظر: محمد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1410هـ،1990م، ط3، ص 294.

[3] زغلول النجار، المرجع السابق، ص54.

المطلب الأخير:ضوابط التعامل مع قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿**خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ**﴾.[1]

الإعجاز العلمي في عصر التقدم العلمي والتقني الذي نعيشه هو من مواقف التحدي للناس كافة – مسلمين وغير مسلمين– بأن كتابا أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة على نبي أمي صلى الله عليه وسلم وفي أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين، هذا الكتاب يحوي حقائق الكون ما لم تتوصل إليه العلوم المكتسبة إلا بعد مجاهدات مضنية قام بها عشرات الآلاف من العلماء عبر تاريخ البشرية الطويل، فقبل البدء في البحث في هذا العلم يجب أن نضع نصب أعيننا ضوابط منها:

1- القرآن كتاب هداية: قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾،[2] وهذه الهداية جاءت بأساليب متعددة، فسلك جميع المسالك العقلية والفطرية لحمل الإنسان على هدف خلقه، ولفت الأنظار إلى الكون المحيط بأفلاكه وكواكبه وشد الانتباه إلى ما يحيط به مما هو مسخر لخدمته فينبغي أن تكون هذه الدراسات في حدود هذا الغرض ولا تؤثر على الهدف الأساسي.[3]

2- ترك الإفراط والتفريط: وذلك بحسن فهم النص القرآني الكريم وفقاً لدلالات الألفاظ في اللغة العربية ولقواعدها وأساليب التعبير فيها، فلا يمكن إثبات الإعجاز بتأويل النص القرآني، أو تحميله ما لا يحتمل.[4]

---

[1] سورة الأنبياء، الآية: 37.

[2] سورة الإسراء، الآية: 9.

[3] ينظر:خادم السنة يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي والسنة المطهرة، مكتبة ابن حجر، دمشق سوريا، 1424هـ،2003م، ط2، ص 235.

[4] ينظر: رفعت أحمد زنجير، مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن، حقوق الطبعة محفوظة لجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم حكومة دبي، 1428هـ،2007م، ط1، ص 88.

3- مرونة الأسلوب القرآني: وذلك أن ما توصل إليه المحقق العلمي في فهم دلالة الآية الكريمة ليس منتهى الفهم لها، وذلك أن القرآن كتاب مفتوح لكل العصور ولا تنقضي عجائبه، مع عدم التكلف في محاولة ليّ أعناق الآيات من أجل موافقتها لحقيقة علمية ما.[1]

4- الحقائق العلمية مناط الاستدلال: الاقتصار على الحقائق في هذا الصدد وأن نبتعد عن ساحة الفرضيات والتي لم تصل إلى درجة الحقيقة العلمية وعلينا الأخذ في الاعتبار إمكانية الانطلاق من الآية القرآنية الكريمة للوصول إلى حقيقة لم يتوصل العلم المكتسب إلى شيء منها بعد، ولو وعى المسلمون هذه الحقيقة لسبقوا غيرهم في الوصول إلى حقائق الوجود.[2]

5- عدم حصر دلالة الآية على حقيقة علمية واحدة: عند إحاطتنا بدلالة الكلمة اللغوية الحقيقية والمجازية واستعمالاتها عند العرب لها، إن وجدنا أن حقيقة علمية تؤيد إحدى الدلالات فلا نحكم بالبطلان والفساد على البقية، فقد تكون الحقيقة التي رجحناها على ضوء هذه الدلالة إحدى دلالات الآية التي لم نتمكن من الوصول إليها حسب ثقافة عصرنا، لأن التقدم العلمي والحضاري كفيل أن يميط اللثام لنا عن جوانب أخرى.

6- عدم الخوض في القضايا الغيبية كالذات الإلهية والروح والتسليم بالنصوص الواردة فيها تسليما كاملا انطلاقا من الإيمان بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والعلم أن الآخرة وما لها من سنن وقوانين مغاير لسنن الدنيا مغايرة كاملة.[3]

7- استحالة التصادم بين الحقيقة العلمية والحقيقة القرآنية: ذلك لأنهما من مشكاة واحدة، وينبغي أن تكون من المسلمات في أذهاننا أن الحقائق القرآنية لا يمكن أن تصادمها حقيقة علمية توصل

---

[1] ينظر: مصطفى مسلم، المرجع السابق، ص 171.

[2] زغلول النجار، المرجع السابق، ص 50، ص 54.

[3] فضل حسن عباس، إعجاز القرآن، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة، 09- 2008م، (د.ط)، ص 305.

الجهد البشري إليها، فالحقائق العلمية التي تكتشف هي من صنع المولى سبحانه وتعالى: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾،[1] وهو ما صرح به موريس بوكاي: «هو إدراك الظاهرة الكونية إدراكا صحيحا، وهذا الإدراك لا يقبل التغيير، ثم إن هناك مكرمة للقرآن لا ينكرها إلا مكابر، وهي حثّه الإنسان على النظر في عظمة الكون المخلوق ليدرك عظمة الخالق».[2]

8- يجب تحري الدقة المتناهية في التعامل مع كلام الله عز وجل وإخلاص النية في ذلك والتجرد له من كل غاية شخصية أو مكاسب مادية.

9- إتباع المنهج القرآني في طلب المعرفة: قال الله تعالى: ﴿**وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾.[3]

10- وقبل كل هذه النقاط على المنشغل بدراسة القرآن جانب الإعجاز منه أن يتمكن من علوم المدروس من فهم لأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمأثور من تفسير المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومراعاة السياق القرآني للآية وموضوعها دون اجتزاء للنص.

---

[1] سورة الملك، الآية: 14.

[2] ينظر: نعيم الحمصي، المرجع السابق، ص 235.

[3] سورة البقرة، الآية: 189.

بداية من السورة نلاحظ أنها ابتدأت بعظمة الخالق المنفذ لتحقيق الوعد و الوعيد، مخاطبا الإنسان بأقرب شيء حوله من الخلق حيوان ونبات كأعظم مِنَّتين فابتدأ ذلك بذكر الحيوان المسخر له للأكل والركوب والزينة والجمال، فقال تعالى: ﴿**وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾.[1]

﴿**وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ**﴾ يعني الإبل والبقر والغنم،[2] التي لا حياة بدونها لبني الإنسان،[3] و﴿**لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ**﴾ بما جعل لهم فيها من المصالح والمنافع من أصوافها وأوبارها وأشعارها يلبسون ويفترشون،[4] والدفء: يستدفئون من الأردية والألبسة،[5] هذا ما جاء في التفسير.

أما جانب الإعجاز البياني فيها فقد نلمس الشّيء الضئيل من البحر العميق ففي الآية الكريمة «والأنعام» عطف المفرد على المفرد عطفا على الإنسان في الآية السابقة أي خلق الإنسان من نطفة والأنعام فيحصل اعتبار بهذا التكوين العجيب،[6] أي شبّه خلق الإنسان بخلق الأنعام، فيحصل بذلك الامتنان.

ويجوز أن يكون عطف الجملة على الجملة فيكون نصب الأنعام بفعل مضمر يفسره المذكور بعده على طريقة الاشتغال والتقدير «وخلق الأنعام خلقها» فيكون الكلام مفيدا للتأكيد قصد تقوية الحكم اهتماما بما في الأنعام من فوائد، والجملة «لكم فيها دفء» في موضع الحال من الضمير المنصوب في «خلقها» على كلا التقديرين إلا أن الوجه الأول تمام مقابلة لقوله

---

[1] سورة النحل، الآية: 5.

[2] ينظر: الإمام أبي الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، تح: خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1423هـ،2002م، ط5، ج2، ص62.

[3] سيد قطب، في ظلال القرآن، المرجع السابق، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1972م، ط1، ج4، ص2161.

[4] الإمام إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، المرجع السابق، ج4، ص181.

[5] الإمامين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، تح: محمد محمد تامر، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر 1424هـ،2004م، ط1، ص289.

[6] الطاهر ابن عاشور، المرجع السابق، ج14، ص103، ص104.

تعالى:«خلق الإنسان من نطفة» من حيث حصول الاعتبار ابتداء، ثم التعريض بالكفران ثانياً، بخلاف الوجه الثاني فإن صريحه الامتنان ويحصل الاعتبار بطريقة الكناية من الاهتمام.

ونلاحظ أنّه ذكر «الدفء» ثم عطف عليه الأشمل والأكمل وهو «المنافع» فهنا عطف العام على الخاص لأنّ الدفء قلّما تستحضره الخواطر فأراد ربّنا أن ينبهنا عليه.

وجملة «ومنها تأكلون» عطف على جملة «لكم فيها دفء» وهذا امتنان بنعمة تسخيرها للأكل منها والتغذي.

كما نجد تقديم المجرور في قوله تعالى: «ومنها تأكلون» للاهتمام لأنهم شديدو الرغبة في أكل اللحوم وللرعاية على الفاصلة، وتقديمه كذلك مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها،[1] والإتيان بالمضارع في «تأكلون» لأن ذلك من الأعمال المتكررة والمستمرة.

لنلحظ لفتة علمية وهي استخدام حرف الجر«فيها» وليس «بها» أو «منها» مثلا كما ورد في بعض الآيات عند الحديث عن الأكل.

فالأكل يكون «منها» أي من لحومها، لكن الدفء «فيها» في أصوافها وأوباها وأشعارها، وهذا ما أثبته العلم الحديث: أنّ الملابس الصوفية لا تجلب الدفء من ذاتها وإنما من حفظها للحرارة التي يولدها الجسم ، لأنّها في حد ذاتها ساكنة باردة لا تأتي بالدفء ، لكنها تحافظ على حرارة أجسامنا فنبقى دافئين.

[1] أبي القاسم جار الله محمود ابن عمر الخوارزمي، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التفسير، تح:خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1426هـ،2005م، ط2، ص567.

و«منافع» من النسل والدر والركوب والحمل وغيرها،[1] أما الأكل: فاللحوم نعمة الله التي أحلها للإنسان وتعتبر المصدر الوحيد للبروتينات ذات الكفاءة العالية، إذ تحتوي على الأحماض الأمنية الأساسية التي تتكون منها أنسجة الجسم وعضلاته.[2]

قال الله تعالى:﴿**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾.[3]

«والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة» يعني وجعلها زينة لكم مع المنافع التي فيها،[4] وجعلها للركوب والزينة بها وذلك أكبر المقاصد منها،[5] «ويخلق ما لا تعلمون» من الأشياء العجيبة الغريبة،[6] ليظل المجال مفتوحاً في التصور البشري لتقبل أنماط جديدة من أدوات الحمل والنقل والركوب والزينة،[7] هذا في التفسير.

أمّا في الإعجاز البياني في الآية الكريمة «والخيل والبغال والحمير» عطف على «الأنعام» أي: وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج على حرمة أكل لحومها بأن علل خلقها بالركوب والزينة و لم يذكر الأكل بعد ذكره الأنعام، وقد انتصب «وزينة» لأنه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها، لأنّ الركوب فعل المخاطبين وأمّا الزينة ففعل الزائن وهو الخالق، وقرئ «لتركبوها زينة» بغير واو أي: وخلقها زينة لتركبوها وهي زينة وجمال.[8]

---

[1] الإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، المرجع السابق، ج2، ص62.

[2] ينظر: محمد عبد العزيز الخالدي، الاستشفاء بالقرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1423هـ، 2002م، (د.ط)، ص 43.

[3] سورة النحل، الآية:8.

[4] الإمام أبي الحسين ابن مسعود الفراء البغوي الشافعي، المرجع السابق،ج2، ص62، ص63.

[5] الإمام إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، المرجع السابق، ج4، ص182.

[6] الإمامين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، المرجع السابق، ص 290، ص 291.

[7] سيد قطب، في ظلال القرآن، المرجع السابق، ج4، ص 2161.

[8] أبي القاسم جار الله محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي، المرجع السابق، ص 568.

كما أن في هذا الترتيب حكمة، لأنه في الموصوفات يبدأ بالأفضل، فقدم الخيل لأنها أحمد وأفضل من البغال، وقدم البغال على الحمير لذلك أيضا.

«والخيل» معطوف على «والأنعام خلقها» فالتقدير: وخلق الخيل والفعل المحذوف يتعلق بـ «لتركبوها وزينة» أي خلقها الله مراكب للبشر.[1]

«ويخلق ما لا تعلمون» ويخلق: مضارع مراد به زمن الحال لا الاستقبال للتجديد أي هو خالق ويخلق، أي هو الآن يخلق ما لا تعلمون أيها الناس، فكما خلق لهم الأنعام يخلق لهم خلائق أخرى لا يعلمونها، فيدخل في ذلك ما هو غير معهود أو غير معلوم للمخاطبين.

كما نلاحظ كذلك في الآية الكريمة أنه لم يرد ذكر «الجِمال» لأنَّ في هذه الآية حدّد سبل المواصلات، لكنّه ذكر الجِمال في الآية التي سبقتها «والأنعام خلقها» والجِمال تدخل في الأنعام ثم ذكر بعدها ما يستعمل للركوب والزينة «والخيل والبغال والحمير لتركبوها» وهذه كلها ليست للأكل، ففي الترتيب ذكر أولا ما هو للركوب والأكل، ثم أتبعها بما هو للركوب والزينة.

ووردت كلمة «الحمير» لأنه خصص هذا الجمع بالحمر الأهلية، والحمر خصصها بالوحشية ﴿**كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ**﴾،[2] في اللغة العربية ولكنَّ هذا من خواص القرآن الكريم، «ويخلق «ويخلق ما لا تعلمون» هذا لا يدل على انتهاء الخلق وإذا كان بالمعنى الآخر فهو يحتمل احتمالا قويا أنه أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه.

يكفي شرف الخيل أن الله أقسم بها في كتابه، فقال: ﴿**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا**﴾،[3] هي جماعة الأفراس،[4] وسميت خيلا لاختيالها في المشية فهي أرشد الدواب عدوا وذكاء و حسن طاعته

---

[1] الطاهر ابن عاشور، ج14، المرجع السابق، ص107.

[2] سورة المدثر، الآية: 50.

[3] سورة العاديات، الآية:1.

[4] ينظر: كمال الدين محمد ابن موسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تح: أسعد الفارس، دار طلاس، دمشق،سوريا، (د.ت)، طبعة 1992م، ص 52.

للفارس،[1] وهي من الثدييات الحافرية فصيلة الخيل، أما البغال: فهو حيوان ينتمي إلى نفس الفصيلة يتولد من تزاوج الحمار والفرس، لذا يكون الناتج أقوى وما يزيد قوّته أنه عقيم والسبب أنه يحمل عدد فردي للكروموسومات (63) حيث ينشأ من الوحدة بين كروموسومات الحمار وعددها (62) والفرس أنثى الحصان وعدد كروموسوماتها (64)، لتكمن حكمة هذا الترتيب حسب الكروموسومات فكانت الخيل بـ (64) ثم البغال بـ (63) فالحمير بـ (62)، والحمير: «هي حيوانات أبطأ من الخيل وأضعف بنيانا ولكنها أثبت منه قدما وأقدر على حمل الأثقال، خدر الأعضاء من غاية البرودة،كدر القوى إلا الحافظة فإنه إذا مشى بطريق لا ينساه بعد ذلك»[2]، وجعلها للركوب والزينة وذلك لأكبر المقاصد منها.[3]

ونلمس من إعجازها العلمي ما ورد في قوله تعالى: «ويخلق ما لا تعلمون» وهو إشارة إلى عصر التقنية والتبشير بوسائل نقل تماثل الدواب المعتاد استخدامها زمن التنزيل، ففعل«يخلق» مضارع يدل على التجدد مما لا يجعل حدّا لما ستكشفه الأيام من وسائل نقل، مما يهتدي إليه العلم وتستنبطه العقول كالقطر البرية والبحرية، والطائرات... ونحو ذلك مما تعجبون منه ويقوم مقام الخيل والحمير في الركوب والزينة.[4]

لذا من المؤمن الكامل أنه كُلّما رأى إنجازا حضاريا يذوب خشية لله وحبّا له، لأنّه لو لا الله عز وجل أودع فينا هذه العقول لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه.

فكانت نعمة الإرشاد ونعمة الإمداد ونعمة الإيجاد كلها ممّا ألزم الله نفسه بها لهداية البشر، فأنزل من السماء ماء ليخرج به مختلف النباتات (الزرع، الزيتون، النخيل...)، فبِفَهمهم يدركون حكمة التّدبير فيُوقد تطلعهم ويُثار استطلاعهم إلى البحث عن صاحب هذا النّظم الفريد.

---

[1] ينظر: زكريا محمد ابن محمود القزويني، عجائب الحيوان من كتاب المخلوقات وغرائب الموجودات، تح: أسعد الفارس، دار طلاس، دمشق، سوريا، (د.ت)، طبعة 1992م، ص 174.

[2] ينظر: زكرياء محمد ابن محمود القزويني، المرجع السابق، ص 174.

[3] الإمام الحافظ إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، المرجع السابق، ج4، ص 182.

[4] أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، طبعة البابي الحلبي، مصر، 1365هـ، 1946م، ط1، مج9، ص57.

قال الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السماء مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ**﴾.[1]

«هو الذي أنزل من السماء»: هذا الماء يذكر هنا نعمة من نعم الله،[2] لكم منه شراب أي جعله عذبا زلالا يسوغ لكم شرابه،[3] فيه تسيمون: ترعون مواشيكم،[4] والإسامة: إطلاق الإبل للسموم هو الرعي.[5] فالإعجاز البياني فيها يبرز في استئنافه لذكر دليل آخر من مظاهر بديع خلق الله تعالى أدمج فيه امتنانه بما يأتي به ذلك الماء العجيب من المنافع، «هو الذي أنزل» صيغة المسند إليه والمسند أفادت الحصر أي هُو لا غيره، «لكم منه شراب» صفة لـ «ماء» «ولكم» متعلق بـ «شراب»* قدّم عليه للاهتمام و«منه» خبر مقدم كذلك.

«ومن» تبعيضية وقوله تعالى «ومنه شجر» تظهر قوله «منه شراب» وأعيد حرف «من» بعد واو العطف لأنّ حرف «من» هنا للابتداء أو للسببية فلا يحسن عطف «شجر» على «شراب».

وفي قوله «لكم منه شراب» و لم يقل «منه شراب لكم» فلو سقى منه النبات فهو لكم، ولو شرب منه الحيوان فهو لكم، فهو في المحصلة والنهاية لك أيّها الإنسان.

ومن الدقائق البلاغية الإتيان بحرف «في» الظرفية فالإسامة فيه تكون بالأكل منه والأكل مما تحته من العشب.

فمن نعمة الله عز وجل على عباده أن أنزل من السماء ماء، الذي يعتبر أهم عنصر للحياة على سطح الأرض، فهو يُعتمد عليه اعتمادا كليا للاستمرار عليها، فهو يشكل ثلثي أجسام

---

[1] سورة النحل، الآية: 10.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، المرجع السابق، ج4، ص 2162.

[3] الإمام إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، المرجع السابق، ج4، ص 185.

[4] الإمام أبي الحسن ابن مسعود الفراء البغوي الشافعي، المرجع السابق، ج2، ص 63.

[5] الطاهر ابن عاشور، المرجع السابق، ج14، ص 114.

* **الشراب**: تناول كل مائع ماء أو غيره.

الكائنات الحية، فالبيئة الداخلية للخلايا هي بالأساس بيئة مائية،[1] فقد أوجده الله سبحانه في عدة صور: بخار هواء، ماء سائل ومتجمد،كلّها مسخّرة لخدمة الإنسان.

لأنّ الإعجاز العلمي يكمن في تلك العلاقة المركبة: التي بدايتها نزول المطر الذي هو موضوع دقيق جدّا في العلم الحديث لأنّه في حد ذاته معجزة علمية[2] فهو يمثل أنقى حالات الماء الطبيعي على سطح الأرض.[3]

ليكون منه الشراب عذبا زلالا بالرغم من أن بدايته كانت تبخر مياه البحر المالحة[4] كأول منيّة،ثم إنبات الشجر،[5] ويلي هذا كله رعي دوابكم.[6]

أي أنّه من أجل أن تأكل الأنعام لا بد لها من أن تأكل الكلأ، ومن أجل أن ينبت الكلأ لا بد أن تسقى الأرض بماء المطر، وعليه فحياة البشر والنبات والحيوان مرتبطة بهذا الماء الذي يُنزّله الله علينا بقدرته.

قال الله تعالى:﴿**يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾.[7]

---

[1] ينظر: عبد الله ابن مساعد ابن خلف الفالح، عظمة الله في النبات، مكتبة الرشد الرياض، السعودية، 1426هـ،2005م، ط1، ص 114.

[2] ينظر: خادم السنة يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، مكتبة ابن حجر، دمشق، سوريا، 1424هـ، 2003م، ط2، ص 266.

[3] ينظر: زغلول النجار، المرجع السابق، ص207.

[4] ينظر: عبد المنعم فهيم الهادي، دنيا محسن بركة، عالم النبات في القرآن الكريم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1419هـ، 1998م، ط1، ص 114.

[5] **الشجر**: يطلق على النبات ذي الساق الصلبة ومطلق العشب والكلأ تغليبا.

[6] الإمامين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، المرجع السابق، ص 290.

[7] سورة النحل، الآية: 11.

«ينبت لكم به الزرع: أي يخرجها من الأرض بهذا الماء الواحد على اختلاف الأصناف والطعم واللون والرائحة والشكل،[1] وفي كل ذلك «لآية» دالة على وحدانيته تعالى، «لقوم يتفكرون» في صنعه فيؤمنون.[2]

من الإعجاز البياني: جملة «يُنبت» معطوفة على جملة «أنزل» أي ينبت الله لكم، لأنّ الإنبات حقيقة إلهية فأسند الفعل «ينبت» لذاته سبحانه، و لم يعطفها على جملة «لكم منه شراب» لأنّه ليس مما يحصل بنزول الماء وحده وذلك لتدخل البشر بالاستفادة منه للشراب، كما أنهم يغرسون وينتظرون الإنبات من الله عز وجل.

«ومن كلّ الثّمرات» عطفها على الزرع والزيتون أي: ينبت لكم من كل الثمرات، و«من تبعيضية قصد منها تنويع الامتنان على كل قوم بما نالهم من نعم الثمرات، و لم تدخل«من» على الزرع وما عطف عليه لأنها من الثمرات التي تنبت في كل مكان،[3] وقرئت «ينبت» بالياء، والنون «ننبت». «ومن كل الثمرات»: فكل الثمرات لا تكون إلاّ في الجنة وإنّما أنْبت في الأرض بعض من كلها للتذكرة، «لقوم يتفكرون» ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته.[4]

إذن في الآية الكريمة عدّد أمورا واضحة الزرع، الزيتون، النخيل، الأعناب، الثمرات، وقال «ينبت» في الأرض وجزء من الأرض، لذلك لّما ذكر سبحانه وتعالى ما في الأرض قال «إن في ذلك لآية» و«آية» جاءت مفردة لأنها مناسبة لمعنى الآية، و«يتفكرون» خاتمتها مناسبة مع سياقها: بمعنى إعمال الفكر.

لتبيّن هذه الآية الكريمة ما أثبته العلم في القرن العشرين أنّ النّظام الزراعي في القرآن الكريم قائم على تنوع المحاصيل النباتية، فهي تمثل مختلف الطبقات النباتية: العشبية (الزرع)، الجنبية

[1] الإمام إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، المرجع السابق، ج4، ص 175.

[2] الإمامين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، المرجع السابق، ص 290.

[3] ينظر: الطاهر ابن عاشور، المرجع السابق، ج14، ص 115.

[4] ينظر: أبي القاسم جار الله محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي، المرجع السابق، ص 568.

(الأعناب)، والشجرية (النخيل والزيتون)، التي تساعد على التوازن الأيكلوجي في هذا النظام،[1] ولم يذكر باقي النباتات الراقية المعروفة لنا لأنها من كماليات الطعام وليس من الضروريات الملحة لحياة الإنسان.[2]

وإن لفي تسلسل هذه المحاصيل: الزرع الذي فيه النفع كله وهو من أفضل النعم على الإنسان، يشمل القمح والشعير والعدس والحمص والبازلاء، كلها غذاء أساسي يستطيع الإنسان تحصيل نصيبه من البروتين عن طريقها،[3] فالزيتون وهو شجرة تنتمي إلى عائلة الزيتيات ومنها زيت يدهن به[4] ثمين جدا فهو: إدامٌ كونه أيضا قوام الغذاء، لينتقل إلى ما يؤكل كفاكهة إذا أكلته بعد الغذاء وإن اكتفيت به فهو الغذاء، ألا هو ثمرة النخيل التمر، ثم الأعناب ثمرة الكرم وتعتبر فاكهة فقط.

ومن هذا فلله عز وجل القدرة على الإنبات وهي حقيقة نلمسها بنزول ماء واحد فتخرج الأرض: الزرع والزيتون (الإدام) وشجرة تؤكل ثماره غذاء وتؤكل فاكهة، ثم الأشجار التي يتفكه الإنسان بثمارها كالأعناب، ليطلق سبحانه الأمر على أوسع أبوابه «من كل الثمرات»[5] مختلفة اللون والنوع والطعم والرائحة.[6] إن في هذه لبيّنة على وحدانية الله الذي لا مبدع ولا موجد لها غيره الخالق الأحد،محكم آياته.[7]

---

[1] ينظر: مقال: محمد فؤاد ، أحمد عادل زايد، نشر 22 نوفمبر 2010، بواسطة:
www.elneel sudanagri.net

[2] ينظر: زغلول النجار، المرجع السابق، ص 212 .

[3] فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، التفسير المطول: سورة النحل، الدرس (04-21): تفسير الآيات (10-18): عن التفكر في نعم الله، بتاريخ: 1987-02- 06، بواسطة: www.nabulsi.com

[4] ينظر: عبد الله ابن مساعد ابن خلف الفالح، المرجع السابق، ص 240.

[5] ينظر: فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، التفسير المطول، المرجع السابق.

[6] ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير الوسيط، دار الفكر، دمشق، سوريا 1430هـ، 2009م، ط3 ،ج2، ص1247.

[7] ينظر: موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية: التفسير المطول، المرجع السابق.

ومن الكنوز التي شهدها العيون إلى كنوزٍ من رزق الله خبئت مدّخرة لنا، وهو ما نستخرجه من البحر أُجاجا كان أو عذبا، لحما طريا ضمن صنف من الحيوان ألا وهو السمك.

قال الله تعالى:﴿**وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾.[1]

«وهو الذي سخر البحر» ذلك للركوب والغوص فيه،[2] و«لتأكلوا منه لحما طريا» هو السمك،[3] ونعمة البحر وأحيائه تلبي كذلك ضرورات الإنسان وأشواقه، فمنه اللحم الطري من السمك عبرة للطعام،[4] كما يخبر تعالى عن تسخيره البحر المتلاطم الأمواج ويمتن على عباده بتذليله بتذليله لهم وتيسيره للركوب فيه، وجعله السمك والحيتان فيه وإحلاله لعباده.[5]

من الإعجاز البياني: وصف السمك بالطراوة لأن الفساد يسرع إليه، فيسارع إلى أكله خيفة الفساد عليه، وردت لفظتا «لتأكلوا» و«تستخرجوا» معطوفتين.

في «تستخرجوا» لا توجد لام التعليل، و«لتبتغوا» جاءت بالتعليل، لنميز أيهما الأكثر والآكد؟، استخراج الحلي من البحر؟ أو السفر لغرض التجارة وغيرها؟. إذن «لتبتغوا من فضله» أكثر من استخراج الحلي لذا ذكر اللام في«لتبتغوا» هو الآكد.

في الأصل سورة النحل تسمّى سورة النّعم، نلاحظ من الآية (5) إلى الآية (18)، فهنا لما كان السياق في ذكر النعم وتعدادها قال تعالى: «ولتبتغوا من فضله» يعني هنا نعم أخرى ومنافع لم تذكر و لم تعدّد يطول ذكرها، فلمّا كان السياق في ذكر النعم أراد أن يقول: «ولتبتغوا من فضله».

---

[1] سورة النحل، الآية: 14.

[2] الإمامين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، المرجع السابق، ص 290.

[3] ينظر: الإمام أبي الحسين ابن مسعود الفراء البغوي الشافعي، المرجع السابق، ص 64.

[4] سيد قطب، في ظلال القرآن، المرجع السابق، ج4، ص 2163.

[5] الإمام إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، المرجع السابق، ج4، ص 186.

فالله عز وجل هو الذي سخر لنا البحر-المالح والعذب- لنأكل منه سمكا نصطاده، و لم يذكر اللحم الطريّ إلّا في الذي يُستخرج من البحر، فهو له معنى دقيق لأنّ كلّ الحيوانات لها عضلات بما في ذلك الأسماك، لذا تصنف ضمن المواد الحيوانية.

لكن التعبير أتى موصوفا بـ «طريّ» فلو اقتصر على كلمة «لحم» دون ذكر حالته لكان لحم السمك يبقى بجودته كجميع اللحوم، غير أنه ذكر لفظة طريّ لتذهب به إلى ما هو أبعد من الجودة.

وقد تبين علميا أنّ لحوم الأسماك والمنتوجات البحرية تكون جودتها عالية لّما تكون طريّة، وهذا يعود إلى طبيعتها الكيماوية.[1]

كما نعلم أنّ الدّابة لا بد لها أن تذبح حتى تزكى ليجوز أكلها، ولكنّنا نأكل الأسماك من دون ذبح، فالعلماء اكتشفوا حقيقة مذهلة: أن السمك حينما يصطاد ينقل دمه كله إلى غلاصمه وكأنه ذبح تماما.[2]

إنّ هيئة البحر: نأكل منه، نستخرج منه اللؤلؤ والمرجان، والسفن تشق ماءه بجريها مقبلة ومدبرة لطلب فضل الله ورزقه بركوبها... فهل من شاكر لكل هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى؟. قال الله تعالى: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾.[3]

انتهى عرض استعراض آيات الخلق وآيات النعمة وآيات التدبير، ليعقب عليه لما سيق هذا الاستعراض من أجله، فقد سيق في صدد قضية التعريف بالله سبحانه وتعالى وتوحيده وتنزيهه عما يشركون، ثمّ يأخذ في عرض جديد من صنعه -سبحانه وتعالى-، تأمل معي عظة وعبرة دلائل

---

[1] ينظر: محمد إسماعيل الجاويش، من عجائب الخلق في عالم الأسماك، الدار الذهبية، القاهرة، مصر، 18-09-2009، (د.ط)، ص27.

[2] ينظر: فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، ندوات تلفزيونية - قناة الفجر- سنريهم آياتنا، الندوة (29- 28): آيات البحر في القرآن، عناية اللقالق بصغارها، بتاريخ: 18- 09- 2009.

[3] سورة النحل: الآية: 18.

الألوهية لا سواها: فالله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وهذا ما بينته الآية (65)، والله يسقي الناس-غير الماء- لبنا سائغا من الحيوان (الأنعام)، سكرا ورزقا حسنا من النبات (الأعناب والنخيل) في الآية (66).

ليحملنا في طيات الآيات الموالية (67 - 69) إلى أعظم آية تشمل ذلك التكامل بين العالم الحيواني والنباتي الذي يستفيد منه الإنسان ليتجسّد في أدقّ مخلوق وهو: النحل، فلا إفراز للشفاء (العسل) دون الثمرات.

وفي هذه لمسة توجهنا إلى أن نستشعر القدرة التي تعمل في طعامنا وفي شرابنا، وفي كل شيء حولنا، فهي تحمل العقل البشري للتفكر ليضرب بذلك أوتار النفس البشرية لعلها تهتز وتستجيب لما وهب الله لها من نِعم وآلاء مَا لا يقدر عليه بشر.

قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ**﴾.[1]

«وإنَّ لكم» أيها الناس،[2] «في الأنعام لعبرة» أي في الإبل والبقر والغنم والمعز، «نسقيكم» بيانا للعبرة، «مما في بطونه الأنعام»، «من» للابتداء متعلقة بـ«نسقيكم»، «بين فرث» ثفل الكرش، و«دم لبنا خالصا» لا يشوبه شيء منهما، «لبنا خالصا سائغا للشاربين» سهل المرور في الحلق.[3]

هذه حجة أخرى ومنّة من المنن الناشئة عن منافع خلق الأنعام، أدمج في منّتها العبرة بما في دلالتها على بديع صنع الله تبعا لقوله تعالى: «والأنعام خلقها» إلى قوله «لرءوف رحيم» فجملة «وإنّ لكم في الأنعام لعبرة» معطوفة على جملة «إن في ذلك لآية لقوم يسمعون» إذ كان المخاطبون وهم المؤمنون القوم الذين يستمعون، وضمير الخطاب التفات من الغائب، وتوكيدها

[1] سورة النحل، الآية: 66.

[2] الإمام إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، المرجع السابق، ج4، ص 204.

[3] الإمامين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، المرجع السابق، ص 295.

بـ «إنّ» و«لام الابتداء» توكيدا للجملة قبلها، و«من» في قوله تعالى «مما في بطونه» من ابتدائية، لأن اللبن يُفرز عن العلف الذي في بطون الأنعام، ومن قوله تعالى: «من بين فرث ودم» أي «من» زائدة لتوكيد التوسط، أي يفرز في حالة بين الحالتين الفرث والدم، ووقع البيان بـ «نسقيكم» دون أن يقول «تشربون» لأنّ الإنسان هو المستفيد الأكثر من حليب الأنعام، فاستخدم فعل السقي منسوبا لذاته العلية، وليس المراد أنّ اللبن يتميّع من بين فرث ودم، وإنّما الذي أوهم ذلك من توهمه جملة (بين) على حقيقة من ظرف المكان، وإنّما هي تستعمل كثيرا في المكان المجازي فيراد بها الوسط بين مرتبتين، فمن بلاغة القرآن هذا التعبير القريب للأفهام،[1] فكل هذا صلة بـ «نسقيكم»، ويجوز أن تكون حالا من قوله «لبنا» مقدما عليه فيتعلق بمحذوف أي «كائنا من بين فرث ودم»، ألا ترى أنّه لو تأخر فقيل «لبنا من بين فرث ودم» كان صفة له وإنما قُدّم لأنه موضع العبرة.[2]

هذا اللبن الذي تدرّه ضروع الأنعام مما هو؟ إنّه مستخلص من بين فرث ودم،[3] فإنّه إذا أكلت البهيمة العلف استقر في كرشها طبخته، فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما، والكبد مسلطة على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق، ويبقى يدور كذلك بواسطة القلب.[4]

وممّا انبهر به العلم الحديث: خروج اللبن من ضروع الأنعام مستخلصا من بين فرث ودم مجرد مما يكدر صفاءه فهو السائغ السهل المرور في الحلق، بعد امتصاص الأمعاء للعصارة الهضمية التي تختلط بالدم، فإذا صارت إلى غدد اللبن تحولت إلى لبن ببديع صنع الله الذي أتقن كل شيء، فخلق اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينهما برزخ من قدرته لا يبغي أحدهما عليه.[5]

---

[1] ينظر: الطاهر ابن عاشور، المرجع السابق، ج14، ص 200، ص201.

[2] ينظر: أبي القاسم جار الله محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي، المرجع السابق، ص 576، ص577.

[3] ينظر: الطاهر ابن عاشور، المرجع السابق، ج14، ص200.

[4] ينظر: أبي القاسم جار الله محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي، المرجع السابق، ص 576.

[5] ينظر: الإمام أبي الحسن ابن مسعود الفراء البغوي الشافعي، المرجع السابق،ج3، ص75.

قال الله تعالى:﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.[1]

«ومن ثمرات النخيل والأعناب» يعني ولكم أيضا عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والأعناب[2] تتخذون منه سكرا (والسكر الخمر) و لم تكن حرمت بعد،[3] ورزقا حسنا: كالتمر والزبيب والخل والدبس «إنّ في ذلك لآية»: دالة على قدرة الله تعالى، «لقوم يعقلون»: يتدبرون.[4]

من الإعجاز البياني في الآية الكريمة: تعلّق قوله تعالى:« ومن ثمرات النخيل» بمحذوف تقديره «ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب» أي من عصيرها، وحذفت لدلالة «نسقيكم » قبله عليه، وقوله «تتّخذون منه سكرا» بيان وكشف عن كنه الإسقاء، و«منه» من تكرير الظرف للتوكيد، ويجوز أن يكون «تتخذون» صفة موصوف محذوفة تقديره «ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتّخذون منه سكرا أو رزقا حسنا»، لأنهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السّكر،[5] وهنا عطف منّة على منّة، لأنّ «نسقيكم» وقع بيانا لجملة «وإن لكم في الأنعام لعبرة» ومفاد فعل «نسقيكم» مفاد الامتنان لأنّ السقي مزية وكلتا العبرتين في السقي، وقد أطلق العرب الحلب على عصير الخمر والنبيذ، ويشير تعالى إلى كونهما عبرتين من نوع متقارب جعل التذييل بقوله تعالى: «إن في ذلك لآية» عقب ذكر السقي دون أن يذيل سقي الألبان بكونه آية، فالعبرة في خلق تلك الثمار صالحة للعصر والاختمار، ومشتملة على منافع الناس ولذاك قد دلّ قوله تعالى: « إن في ذلك لآية لقوم يعقلون» فهذا مرتبط بما تقدم من الموعظة بخلق النبات والثمرات.[6]

---

[1] سورة النحل، الآية: 67.

[2] تفسير البغوي، المرجع السابق، ج3، ص75.

[3] سيد قطب، في ظلال القرآن، المرجع السابق، ج4، ص 2181.

[4] ينظر:الإمامين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، المرجع السابق، ص 296.

[5] أبي القاسم جار الله محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي، المرجع السابق، ص 577.

[6] الطاهر ابن عاشور، المرجع السابق، ج14، ص 203.

وقد قال تعالى: «سكرا ورزقا حسنا» مبينا في هذا على أن ما يتخذ الإنسان من ثمرات النخيل والأعناب يكون إمّا السكر أو الرزق الحسن، ففي هذه الآية أول إشارة إلى أن الخمر أو السكر ليس من الرزق الحسن مع أنّه لم يكن قد نزل تحريمها في مكة، والأمر الآخر أنّه لم يقل في الآية «لعلكم تشكرون» لأنّه لم يجعل السكر من باب النعم حتى لا يشمل الشكر الخمر، وأنّه استخدم كلمة «يعقلون» فيه تعريض بالخمر لأنّه يزيل العقل، والأمر الآخر أن الخطاب في الآية لم يأت للمؤمنين، وإنّما فيما يتخذه الإنسان من ثمرات النخيل والأعناب.

في الآية الكريمة إشارة لثمرتين (الرطب والعنب) اللتين يعتبرهما العلماء من ملوك الفاكهة الثلاث.[1]

فثمرة النخيل هي التمر التي أثبت العلماء والباحثين احتوائها على عناصر غذائية ومعدنية تفوق أية مادة غذائية أخرى تساعد الإنسان في الوصول إلى القوة والنشاط وحمايته من الأمراض.[2]

والأعناب تمتاز باحتوائها على نسبة جيدة من المواد السكرية سريعة الامتصاص، ذو قيمة علاجية وغذائية عالية.[3]

فعل « تتخذون منه» منسوب إليكم أيها الناس، فسكرا تحمل معنيين إمّا الشراب المسكر أي حلو الطعم والمذاق وإمّا أن تكون إشارة إلى عصير العنب والزبيب والتمر الذي يطبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد،[4] ويرجح أنّه الشراب الحلو المذاق، فالله سبحانه لا يمتنّ على عباده فيما حرم عليهم، أمّا إذا كان الشراب المسكّر فالله يخاطب أهل مكة و لم تحرم بعد ليلفت نظرهم إلى

---

[1] ينظر: محمد عبد العزيز الخالدي، المرجع السابق، ص52.

[2] ينظر: محمد إسماعيل الجاويش، المرجع السابق، ص13.

[3] فضيلة الدكتور: محمد راتب النابلسي، موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، التفسير المطول:سورة النحل، الدرس (15-21) تفسير الآيات:66-70، عن فوائد المخلوقات، أو فضل الله علينا أن خلق المخلوقات، بتاريخ:29-04-1987م.

[4] ينظر: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، المرجع السابق، ص577.

الثمرتين التي كانت من أكثر فواكههم، والرزق للعطاء الجاري الحسن المستنفع منهما غير الخمر وكأنه فيه نوع من التوطئة لتحريمها.[1]

فيلفت المولى عز وجل نظرنا إلى أنه ليس الانتفاع والرزق الحسن باتخاذ هذه الثمار سكرا فهي تمثل مصدرا هائلا للفيتامينات والألياف والأملاح المعدنية، وكلّ هذه العناصر لها دور غذائي كما لها دور شفائي، أما إذا عصرت وتركت تتخمر فإن التركيب الكيماوي يتغير وينقص، فالمواد النافعة في العصير تتحول إلى كحول وهي مادة سامة،كما أثبتها العلم الحديث.

لتختم الآية بما هو أشرف في الإنسان وهو(العقل) ولهذا حرّم الخمر المسكِّر صيانة له وتنبيها لاستخدام النعمة لما خلقت له.

قال الله تعالى:﴿ **وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾.[2]

النحل تعمل بإلهام من الفطرة التي أودعها إليها الخالق، فهذا الإلهام هو لون من الوحي تعمل بمقتضاه،[3] وقال سبحانه وتعالى «من الجبال» و لم يقل «في الجبال» لأنّ التعبير عن اتخاذ النحل بيوتها في الجبال والأشجار والعريش، أتى بـ «من» فقال «من الجبال» دون «في الجبال» لأنّ النحل تبني لنفسها بيوتا وتشيّدها بهندسة دقيقة الصنع، ولا تأوي ولا تركن إلى بيوت جاهزة في جحور الجبال ولا تجعل بيتها الأغصان والأوراق في الأشجار ولا أعواد العريش فناسب ذلك «من الجبال» دون «في الجبال».

«فاسلكي سبل ربك ذللا» القرآن الكريم لم يستعمل الفعل «سلك» إلا في الآخرة و في النار، و لم يستعمله في دخول الجنة، بمعنى دخل وأدخل وهذه من خصوصيات الاستعمال القرآني،

---

[1] ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، المرجع السابق، ص2181.

[2] سورة النحل، الآية: 68-69.

[3] ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، المرجع السابق، ص2171.

ففعل سلك فيه سهولة ويسر «فاسلكي سبل ربك ذللا» أي مذللة «يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه»، لنتأمل دقة اللفظ في الآية فقد نكّر كلمة (شفاء) و لم يأت بها معرفة، فلم يقل (فيه الشفاء للناس) وذلك ليلفت نظرنا إلى أن العسل فيه شفاء من الأمراض، ولكن لا على سبيل العموم لكل الأمراض، فالشفاء ثابت في العسل في أفراد الناس بحسب اختلاف الأمزجة إلى الاستشفاء، فقد يشفى هذا دون ذلك ولذلك قال تعالى (فيه شفاء) و لم يقل (فيه الشفاء) لأنّ التعريف يدل على التخصيص، أمّا التنكير في السياق فيفيد العموم.

ومن النظرات الإعجازية العلمية في هذه الآية: كون النحل هو الحشرة الوحيدة التي تستطيع تخزين رحيق الأزهار من أجل الغذاء، فضلا عن بنائها لخلاياها وتصنيعها الشمع والعسل.[1]

ورد لفظ النحل في الآيات الكريمة مؤنثا (اتخذي، كلي، اسلكي) بيد أنه في اللغة العربية مذكرا، حيث نقول هذا النحل وليس هذه النحل، معناه أن الوحي الرباني موجه لمجموعة من النحل داخل الخلية وهي: الإناث وليست الذكور، التي تبني خلاياها محكمة في غاية الإتقان في تسديسها ورصها من الجبال ومن الشجر وفقا لإلهام قذفه بحكمته تعالى في قلوبها وليس سلوكا تعوديا أوعادات مكتسبة، بينما ينحصر دور الذكور في تلقيح ملكة النحل فقط.[2]

ومع تقدم الطب في عصرنا اكتشف العلماء أن العسل مادة عظيمة التركيب وشديدة التعقيد، يدخل في علاج عشرات من الأمراض في مختلف أجهزة الجسم وأعضائه ونسجه، فهو مخزن كامل لمجموعة من الأدوية العلاجية والوقائية، وآخر هذه الاكتشافات أنّ من يتناول العسل يصبح لديه مناعة من السرطان.[3]

---

[1] ينظر: يوسف الحاج أحمد، المرجع السابق، ص489.

[2] ينظر: أحمد عباس أحمد، مقال: وأوحى ربك إلى النحل، آيات معجزات، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، بتاريخ:11-03-2011، بواسطة: www.aejaz.com

[3] ينظر: محمد إسماعيل الجاويش، المرجع السابق، ص49.

وهذه الحقائق العلمية كلفت إنسان الواحد والعشرين سنوات عديدة وتجارب كثيرة لإثباتها.

فالله سبحانه وتعالى يعرض دلائل الألوهية المختلفة من عظمة الخلق وفيض النعمة وإحاطة العلم وأسرار الغيب في السماوات والأرض والأنفس والآفاق وغيب الساعة فلا يطلع عليه أحد، ليرمي بنا إلى أسرار من الخلق وهو تسخير الطير في جوّ السماء ما يمسكهن إلا هو والتي لا يبلغ إليها شاعر لم تمس قلبه شرارة الإيمان المشرق.

قال الله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾.[1]

من الإعجاز البياني في الآية الكريمة: قرئ: ألم يروا: بالتاء والياء «مسخرات» مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المواتية لذلك،[2] موقع هذه الجملة موقع التعليل والتدليل على عظيم قدرة الله وبديع صنعه وعلى لطفه بالمخلوقات، فإنه لما ذكر موهبة العقل والحواس التي بها تحصيل المنافع ودفع الأضرار به عن الناس إلى لطف ما يشاهدونه، أجلى مشاهدته لأضعف الحيوان، بأنّ تسخير الجو للطير فجعل الله لها سرعة الانتقال مع الابتعاد عن تناول ما يعدو عليها من البشر والدّواب فلأجل هذا الموقع لم تعطف الجملة على التي قبلها لأنها ليس في مضمونها نعمة على البشر ولكنها آية على قدرة الله وعلمه.[3]

ولننظر هذا الاستفهام «ألم يروا »كم يحمل في طياته من التهكم والإنكار على من يرى آيات الله في الكون ثم يصم أذنه ويعمي بصره على دلائل وجود الله، فكان هذا الاستفهام تتزيل رؤيتهم الطير مترلة من لا يرى لانعدام فائدة الرؤيا، فما فائدة أن يرى المرء ثم لا يدرك أبعاد ما يراه.

---

[1] سورة النحل، الآية: 79.

[2] ينظر: أبي القاسم جار الله محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي، المرجع السابق، ص580.

[3] ينظر: الطاهر ابن عاشور، المرجع السابق، ص 234.

ووردت لفظة «مسخرات» من باب القهر والتذليل ولا يناسب الرحمة وليس من باب الاختيار، لأنّ لفظ الجلالة «الله»مناسب للآية.[1]

الطيور من أكثر مخلوقات الله جمالا، فعدها العلماء حتى هذا التاريخ ما يزيد عن سبعة آلاف نوع.[2] والمدقق في أجسامها يكتشف أنها خلقت لتطير، جسمها به أكياس هوائية وعظام مجوفة لتخفيف وزن الجسم وبالتالي من الوزن الكلي، أما الريش فهي خفيفة جدا بالنسبة إلى حجمها.[3]

فبعد أن جعل الجو من حولها مناسبا لهذا الطيران، كان إمساك الله إياها خلقه الأجنحة لها والأذناب قابلة للبسط والقبض، وذلك بفضل الخصائص التي وهبها الله لها لتتماشى والمحيط الذي تعيش فيه.[4]

لذا كان المفتاح الرئيسي في القفزة النوعية في الطيران في القرن العشرين هي دراسة العلماء التصاميم الحية في الطيور، ونتج عن ذلك تطبيقات ناجحة جدا، ولكنها لا تصل إلى مستوى الكمال، لأنّ الكمال مقتصر على خلق الله المتقن.[5]

فكل هذا التسخير في الجو والإمساك لدلالات على أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له، لمن يؤمن ويقر بوجدانه ما تعاينه الأبصار وتحسه الحواس.

---

[1] ينظر: فاضل السامرائي، الأسئلة البيانية في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة، الإمارات الشارقة، 1429هـ،2008م، ط1، ص 114.

[2] ينظر: لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، موسوعة النابلسي، موضوعات علمية: «الطيور وإمكاناتها التي تفوق الطائرات والإنسان» رقم الشريط: (14، 16) بتاريخ: 14-02-1986م.

[3] ينظر: هارون يحيى، التصميم في الطبيعة، ترجمة: اورخان محمد علي، دار Araştirma Yaincili، استانبول تركيا، فبراير2003م، (د.ط)، ص 50 .

[4] ينظر: هارون يحيى،رحلة في عالم الحيوان، ترجمة: محمد رضا بن خليفة، مراجعة: مصطفى الستيتي، (د.د)،(د.ت)، (د.ط)، ص88.

[5] ينظر: هارون يحيى، التصميم في الطبيعة، المرجع السابق، ص 68.

لتتنوع نعم الخالق عز وجل لتشمل الجانب المادي كالسكن المتخذ من الحيوان(الأنعام) من أصوافها وأوبارها وأشعارها لتلبي ضرورات الإنسان في حياته من ضعن وإقامة وأثاث ومتاع إلى أجل مسمى ووقت معلوم.

قال الله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ**﴾.[1]

هذا من تعداد النعم التي ألهم الله إليها الإنسان، وهي نعمة الفكر يصنع المنازل الواقية وما يشبهها من الثياب والأثاث، فعطفها على آية «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً».[2]

وذكر الصّوف، والوبر والشعر بصيغة الجمع، كان يمكن في غير القرآن أن يصيغها بلفظ المفرد لكن لا تأتي هذه الصورة، لأنه في موطن بيان نعمة الله تعالى وبيان فضله على هؤلاء الناس فجعل الجموع متواترة منذ البداية قال تعالى: «وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها» ما قال جلد، فهذه نعمة عظيمة يحسها العربي لصنعه بيتا يقيه الشمس والبرد والمطر، علماً أنّ الصوف ليس للبيوت فقط فهو كذلك للأثاث والمتاع، وحتى الملابس للتمتع بها، فإذن هو اختار –سبحانه وتعالى– أن يستعمل الجمع لأنّ كل البشر في تلك الفترة مشتركين في المنافع المستخلصة من الأنعام (جلودا وأصوافا وأوبارا).

هذا من ناحية الإعجاز البياني، أما من جانب الإعجاز العلمي كما قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وعطية العوفي وعطاء الخراساني والضحاك وقتادة، وقوله: «إلى حين» أي: إلى أجل مسمى ووقت معلوم،[3] وهنا إشارة علمية خفية جاء العصر الحديث ليثبت صدقها، فالإنسان استخدم من جلود الأنعام وأصوافها وأوبارها بيتا يأويه، وألبسة تقيه الحر والقر، وغيرها

[1] سورة النحل، الآية: 80.

[2] ينظر: الطاهر ابن عاشور، المرجع السابق، ص 236.

[3] الإمام إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، المرجع السابق، ص 214.

من الفوائد... لكنّه اليوم يستعمل وسائل أخرى لصناعة الأمتعة والثياب والأدوات مثل: البلاستيك والجلد الصناعي والأقمشة الصناعية وغير ذلك مما نعرفه اليوم فقد تمكن الإنسان من صناعة كل شيء تقريبا من البلاستيك و لم يعد هناك دور يذكر للأوبار والأصواف.[1]

فهذه معجزة قرآنية أخبر الله بها بأن سخر لنا الأنعام لنستفيد من جلودها وأصوافها إلى زمن محدد، فهل من مبصر؟.

بعد الآيات المذكورة آنفا نصل إلى تشنع إنكار الإنسان تلك النعم التي تُرى ومع ذلك يكفر بالمُنعم فجاءت الآية الموالية للتعبير عن ذلك:

«يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون»[2] لينتقل بنا إلى معرض ما ينتظر الكافرين عند قيام الساعة وموقف كل أمة من شهيدها فلا حجة لمحتج، وكل ذلك بما جاء في الكتاب المنزل على سيد الخلق أجمع من إرساء لمبادئ السلوك الأساسية في الحياة من وفاء للعهد والنهي عن نقض الأيمان بعد توكيدها، ليبين جزاء من يكفر بعد الإيمان إلا من أكره، لأن الجزاء يكون من جنس العمل، ثم ليضرب مثلا لتصوير حال مكة وقومها المشركين الذين جحدوا نعمة الله من رزق رغد وأمن وطمأنينة وتحريم لما أحله لهم من الطيبات تبعا لأوهامهم الوثنية ليجمل من بين ما حرم عليهم في الآية:

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾.[3]

هذه الجملة بيان لجملة «فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا» لتمييز الطيب من الخبيث ، فإن المذكور في المحرمات هي خبائث خبثا فطريا لأن بعضها مفسد لتولد الغذاء لما يشتمل عليه من

[1] ينظر:عبد الدائم الكحيلي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، بواسطة:
www.kaheel7.com

[2] سورة النحل، الآية: 83.

[3] سورة النحل، الآية: 115.

المضرة، وتلك هي الميتة والدم ولحم الخنزير وبعضها مناف للفطرة وهو أهلّ به لغير الله لأنه مناف لشكر المنعم بها، فالله خلق الأنعام، والمشركون يذكرون اسم غير الله عليها، ولإفادة بيان الحلال الطيب بهذه الجملة فجيء فيها بأداة الحصر، أي حرم عليكم إلا الأربع المذكورات فبقي ما عداها طيّباً.[1] فبدأ بتحريم الميتة لأنها لم تذبح وذكر وجوب ذبحها بإراقة الدم وبيّن تحريم الدم، ثم ذكر بعد وجوب الذبح وإراقة الدم أن هناك لحوم محرمة (لحم الخنزير)، فبعد كل من الذبح وإراقة الدم وإخراج اللحم إلا أنها أهلت لغير الله و لم يذكر اسم الله عليها فهي حرام.[2]

فبعد تحقق خطر وضرر أكل لحم الخنزير على حياة الإنسان علميا لحمله عدة أمراض: أمراض بكتيرية (السل الرئوي، الحمى المالطية)، أمراض طفيلية التي تنشأ عن الدودة اللولبية فتشل حركة العضلات، وأخرى فيروسية (التهاب الدماغ)، أمراض جرثومية (التهاب السحايا)، وأمراض ناشئة عن التركيب البيولوجي للحم الخنزير وشحمه، فهو يحتوي على كميات عالية من هرمونات النمو التي تسبب ستة أنواع من السرطانات،[3] وغيرها من الأمراض التي توصل إليها الباحثون اليوم.

كانت رحمة الله سبحانه وتعالى به أن حرم عليه أكل لحم الخنزير منذ أربعة عشر قرنا.

---

[1] ينظر: الطاهر ابن عاشور، المرجع السابق، ص 310.

[2] ينظر: مختار سويلم، محاضرة: 02- 05- 2013م.

[3] ينظر: محمد مدبولي، مقال بالمؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، باسطنبول تركيا، 11-14 مارس 2011م.

وبحمد الباري ونعمة منه وفضل ورحمة، نضع قطراتنا الأخيرة بعد رحلة عبر مينـــاءين بـــين تفكر وتعقل في دراسة إعجاز آيات الحيوان والنبات في سورة النحل، وقد كانت رحلة جاهـــدة للارتقاء بدرجات العقل، إذ من النتائج المتوصل إليها مايلي:

- ✓ إن الإعجاز البياني هو أهم أوجه الإعجاز في القرآن الكريم كون القرآن نزل بلغـــة العـــرب، لذلك كان التحدي لهم بما يحسنونه.
- ✓ يلفتنا الإعجاز البياني إلى التمتع بالجمال المبثوث في الحيوان والنبات بتصويره في أحسن لوحة ربانية أبدعتها يد الخالق – سبحانه –، خاصة ما لمسناه في ترتيب وانتقاء الألفاظ، في قولـــه تعالى: ﴿ **وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾،[1] وقوله تعالى:﴿**يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ**﴾.[2]
- ✓ نجد أن هذه المخلوقات العظيمة لم تخلق عبثاً وإنما وجدت لحكمة عظيمة وهذا من فضـــل الله سبحانه وتعالى ورحمته بعباده ومن ذلك تحريم بعض اللحوم عليهم، في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَـــا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ**﴾.[3]
- ✓ إن أسلوب القرآن الكريم في تناوله لآيات الحيوان والنبات كان فريدا من نوعه، فنلاحظ أنـــه كثيرا ما يخاطب العقل مباشرة فيحثه على التفكر والتدبر، لذلك نجد أغلب الفواصل كانـــت على شاكلة: يتفكرون، يعقلون.
- ✓ كما توصلنا إلى أنه إذا كان جانب الإعجاز البياني في كتاب الله ميسرا للعرب بحكم اللغـــة فلا بد أن يكون فيه من الجوانب الإعجازية الأخرى الميسرة لغير العرب كـــي يؤمنـــوا بـــه وخاصة الجانب العلمي منها، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾.[4]

---

[1] سورة النحل، الآية: 8.

[2] سورة النحل، الآية: 11.

[3] سورة النحل، الآية:115.

[4] سورة الأنفال، الآية:42.

- ✓ بالرغم من تفاوت العلماء في الإهتمام بقضية الإعجاز العلمي بين مضيّقين ومعتدلين موسعين ولكل منهم حججه؛ فقد ارتأينا أن نكون من الطائفة الثانية فالاعتدال هو الملاذ الآمن للدفاع عن ديننا في زمن الفتن التي نعيشها.

فما هذا إلا جهد مقل ولا ندعي فيه الكمال ولكن عذرنا أننا بذلنا فيه قصارى جهدنا، فإن أصبنا فذاك مرادنا وإن أخطأنا فلنا شرف المحاولة والتعلم.

❖ **القرآن الكريم برواية حفص.**

❖ **قائمة المصادر والمراجع:**

01- الإمام إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس، 1401هـ-1981م ط3،ج4، عدد الأجزاء7.

02- الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور،تفسيرالتحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس 1984م، (د.ط)، ج14.

03- ابن منظور، لسان العرب، تح: أحمد حيدر، راجعه عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1426هـ-2005م، ط1، مج7.

04- أبو عبد الله محمد ابن أحمد ابن أبي بكر ابن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البدروني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية القاهرة مصر، 1384هـ-1946م، ط2، ج1، عدد الأجزاء 20.

05- أبي القاسم جار الله محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التفسير، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة ،بيروت، لبنان، 1426هـ-2005م، ط1.

06- أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، (د.ت)، (د.ط).

07- أبي محمد عبد الحق ابن غالب ابن عطي الأندلسي، المحرر الوجيز في الكتاب العزيز تح: عبد السلام الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ-1993م، ط1،ج3، عدد الأجزاء 5.

08- أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، طبعة البابي الحلبي ، مصر، 1365هـ-1946م، ط1، مج5، عدد المجلدات 30.

09- أحمد مطلوب، فنون بلاغية - البيان، البديع-، دار البحوث العلمية، مدينة الكويت، الكويت، 1895هـ-1975م، ط1.

10- الإمام أبي الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، تح: خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، دار المعرفة ،بيروت، لبنان،1423هـ-2002م، ط5،ج2، عدد الأجزاء 4.

11- الإمام علي بن أحمد بن إبراهيم المهايمي، تفسير المهايمي المسمى تبصير الرحمان وتيسير المنان، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1403هـ-1983م،ط2، ج1، عدد الأجزاء 2.

12- الإمامين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، وبهامشه: أسباب النزول، للسيوطي، تح: محمد محمد تامر، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر 1424هـ-2004م، ط1.

13- بدر الدين محمد ابن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1،ج3، عدد الأجزاء 4.

14- الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1404هـ-1984م، ط3،ج5،عدد الأجزاء 6.

15- الحافظ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير والعلوم الإسلامية، دمشق، سوريا، 1414هـ-1993م، ط2،ج2، عدد الأجزاء 7.

16- الحافظ جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، لبنان 1414هـ-1992م، (د.ط)، ج5، عدد الأجزاء 8.

17- الحافظ جلال الدين السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، مصر 1398هـ-1978م، ط2.

18- خادم السنة يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي والسنة المطهرة، مكتبة ابن حجر، دمشق، سوريا، 1424هـ-2003م، ط2.

19- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح: نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان1427هـ-2006م، ط1.

20- رفعت أحمد زنجير، مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن، حقوق الطبعة محفوظة لجـــائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، حكومة دبي، 1428هـــ-2007م، ط1.

21- الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القـــرآن، دار المعـــارف، مصر، (د.ت)، ط3.

22- زغلول النجار، قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وضوابط التعامل معها، نهضة مصر للنشر والتوزيع، مصر، يناير2008م، ط3.

23- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1413هـــــ-1993م، ط13.

24- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصـــر 1972م، ط1، ج4، عـــدد الأجزاء 6.

25- عبد الله ابن مساعد ابن خلف الفالح، عظمة الله في النبات، مكتبـــة الرشـــد، الريـــاض، السعودية، 1426هـــ-2005م، ط1.

26- عبد المنعم فهيم الهادي ود.دنيا محسن بركة، عالم النبات في القرآن الكـــريم، دار الفكـــر العربي، القاهرة، مصر، 1419هـــ-1998م، ط1.

27- عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، الزهراء للنشر والتوزيع، الجزائر، 1990م، ط1.

28- عمرو خالد، خواطر قرآنية نظرات في أهداف سور القرآن، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، (د.ت)، ط1.

29- فاضل السامرائي، الأسئلة البيانية في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة، الإمارات الشـــارقة، 1429هـــ-2008م، ط1.

30- فضل حسن عباس، إعجاز القرآن، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات بالتعـــاون مع جامعة القدس المفتوحة، 2008-09م، (د.ط).

31- فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن، فهرسة مكتبة ملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، 1426هـــ-2005م، ط14.

32- كمال الدين محمد بن موسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تح: أسعد الفارس، دار طلاس، دمشق، سوريا، (د.ت)، طبعة 1992م.
33- محمد إسماعيل الجاويش، من عجائب الخلق في عالم الأسماك، الدار الذهبية، القاهرة ، مصر، 18-11-2012م، (د.ط).
34- محمد إسماعيل الجاويش، من عجائب الخلق في عالم الحشرات، الدار الذهبية، القاهرة، مصر، 18-11-2012م، (د.ط).
35- محمد إسماعيل الجاويش، من عجائب الخلق: في عالم النبات، الدار الذهبية القاهرة، مصر، 18-11-2002م، (د.ط).
36- محمد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1410هـ-1990م، ط3.
37- محمد عبد العزيز الخالدي، الاستشفاء بالقرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1423هـ-2002م، (د.ط).
38- محمد علي الصابوني، إيجاز البيان في سور القرآن، دار الجيل بيروت، لبنان، (د.ت)، ط1.
39- محمد موسى الشريف، إعجاز القرآن بين السيوطي والعلماء، دراسة نقدية ومقارنة، دار الأندلس الخضراء، جدة، السعودية 1422هـ-2002م، ط2.
40- مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار المسلم، الرياض، السعودية، 1416هـ-1996م، ط2.
41- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، لبنان، تح: درويش الجودي 1427هـ- 2006م، (د.ط).
42- منيرة محمد ناصر الدوسري نقد، د.فهد ابن عبد الرحمن ابن سليمان الرومي، أسماء سور القرآن وفضائلها ،دار ابن الجوزي الدمام المملكة العربية السعودية 1426هـ، ط1، (رسالة دكتوراه).

43- نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1400هـ-1980م، ط2.

44- نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، مطبعة المصباح، دمشق، سوريا، 1414هـ-1993م، ط1.

45- هارون يحيى، التصميم في الطبيعة، ترجمة: اورخان محمد علي، دار ARAŞTIRMA YAINCILI، استانبول تركيا، فبراير 2003م، (د.ط)، ص50 .

46- هارون يحيى، رحلة في عالم الحيوان، ترجمة: محمد رضا بن خليفة، مراجعة: مصطفى الستيتي، (د.د)، (د.ت)، (د.ط).

47- وهبة الزحيلي، التفسير الوسيط، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1430هـ-2009م، ط3، ج2، عدد الأجزاء4.

❖ المواقع الإلكترونية:

01- الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة:

www.aejaz.com

02- مقال: محمد فؤاد، أحمد عادل زايد، نشر 22 نوفمبر 2010، بواسطة:

www.Elneel Sudanagri.Net.

03- فضيلة الدكتور: محمد راتب النابلسي، موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، بواسطة:

www.Nabulsi.Com.

04- عبد الدائم الكحيلي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، بواسطة:

www.Kaheel7.Com.

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
مقدمة.....	أ–ب
التمهيد:.....	3
المبحث الأول:الإعجاز البياني.....	9
المطلب الأول: ماهية الإعجاز البياني.....	9
المطلب الثاني: أركان الإعجاز البياني.....	11
المطلب الأخير: مظاهر الإعجاز البياني.....	13
المبحث الثاني: الإعجاز العلمي.....	15
المطلب الأول: ماهية الإعجاز العلمي.....	15
المطلب الثاني: الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.....	16
المطلب الأخير: ضوابط التعامل مع قضية الإعجاز العلمي في القرآن.....	17
المبحث الأخير: الإعجاز البياني والعلمي في آيات الحيوان والنبات في سورة النحل.....	20
خاتمة.....	42
قائمة المصادر والمراجع.	